Journal of Alasmarya University
Volume 13, June 2010

مجلة الجامعة الأسمرية
المجلد الثالث عشر، يونيو 2010

من أسباب إخفاق بعض الدعاة في النّهوض بالخطاب الديني

أ. محمد إبراهيم الكشر*

بسم الله الرحمن الرحيم

خطة العمل وتشتمل على تمهيد، ومبحثين:

المبحث الأول: الجهل بحال المدعو، والتّعجل والغرور من جانب الداعية.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الجهل بحال من توجه إليه الدعوة.

المطلب الثاني: التعجل في قطاف الثمرة.

المطلب الثالث: غرور الداعية.

المبحث الثاني: سوء الخلق، و غلبة الطمع، والتّشدد والقسوة في الدعوة.

وفيه أربعة مطالب.

المطلب الأول: القوة والقسوة.

المطلب الثاني: سوء الخلق.

المطلب الثالث: غلبة الطمع.

المطلب الرابع: التشدد والتكفير.

* الجامعة الأسمرية.

تمهيد

من هموم العاملين في حقل الدعوة الإسلامية تفكيرهم الدائم في نجاح مسعاهم، أو ركوب الهموم لهم من فشلهم، ومقياس النجاح والفشل هو مدى ارتباط المدعوين بالدين من جراء دعوة الدعاة، أو مدى انصراف الناس عن الدين، وهذا الهمّ إنّما يركب الدعاة الحقيقيين، أمّا التقليديون من العاملين في الدعوة، أو المتخذون لها وظيفة، فهم يلقون من العظات ما يقيم الشعائر دون تفكير في جدواها، أو عدم جدواها، وإعمال الجهد والعقل والحيلة من أجل إنجاح الدعوة أمر مطلوب على مستوى الأمة الإسلامية أفراداً وجماعات، والتّناصح بين المسلمين ليس نافلة يفعلها من يفعلها، أو يتركها من يتركها، وإنّما هو فرض عيني، أو كفائي، يجب على المسلمين الاهتمام به، ومهمة هداية الناس ليست عملاً سهلاً، وإنّما هي عمل دونه خرط القتاد، والسير على الأشواك، وتحمّل المشاق والمتاعب؛ لأنّ عملية الاعتناق لمبدأ، أو التخلي عن مبدأ، عملية شديدة الصعوبة، لما يتشابك في داخل النفس من مبادئ، وعادات يصعب التّخلي عنها، ولذا كان التّناصح سمة عامة لكلّ الدعوات، وقد قال الله تعالى على لسان نبيّه نوح ﷺ: ﴿وَأَنصَحُ لَكُمْ﴾ [الأعراف: 62]، وعن هود عليه السلام: ﴿وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ [الأعراف: 68]. وأمّا الأحاديث الدالة على النّصيحة فمنها ما روي عن تميم الداري أنّ النّبي ﷺ قال: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»(1).

ويجب أنْ تختص جماعة من أبناء الأمة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ۚ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [آل عمران: 104]، كما أنّ القرآن توعد من لا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر، فقال سبحانه وتعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: 78-79]، كما بيّن لنا القرآن أنّ الله ينجّي من ينهون عن السوء ويأخذ الذين ظلموا بالعذاب، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف: 165].

1- متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، (40) باب: قول النبي: الدين النصيحة1/30، ومسلم في صحيحة، كتاب الإيمان باب: بيان أنّ الدين النصيحة (55) 1/74.

وفي الحديث الشريف عن ابن مسعود أنّ النّبي ﷺ قال: «ما من نَبِيٍّ بَعَثَهُ الله في أُمَّةٍ قَبْلِي إلا كان له من أُمَّتِه حَوَارِيُّونَ وَأَصْحَابٌ، يَأْخذُونَ بِسُنَّتِه، وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِه، ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ من بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مالا يَفْعَلُونَ، وَيَفْعَلُونَ مالا يُؤْمَرُونَ، فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بيده فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذلك من الْإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ»[2].

وعن عبادة بن الصامت قال: «بَايَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ على السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ في الْمَنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ، وَأَنْ لاَ نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ، وَأَنْ نَقُومَ أو نَقُولَ بِالْحَقِّ حَيْثُمَا كنا، لاَ نَخَافُ في اللَّهِ لومة لاَئِمٍ»[3]. وعن النّعمان بن بشير رضي الله عنهما عن النّبي ﷺ قال: «مَثَلُ الْقَائِمِ على حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فيها كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا على سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاهَا، وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ في أَسْفَلِهَا إذا اسْتَقَوْا من الْمَاءِ مَرُّوا على من فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا لو أَنَّا خَرَقْنَا في نَصِيبِنَا خَرْقًا ولم نُؤْذِ من فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وما أَرَادُوا هَلَكُوا جميعا، وَإِنْ أَخَذُوا على أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا»[4].

ونظرًا لما يظهر من تشكيكات ودعوات حول دين الإسلام فإنّ الحياطة للدِّين تحتاج إلى جند للدعوة كثيف، معتمد على أجيال، كلّ جيل يعقب الآخر بحيث لا يخلو عصر ولا مصر منهم، وفي ذلك يقول الدهلوي: «وظهرت تشكيكات في الأصول الاعتقادية والعملية، فآل الأمر إلى أنْ صار الانتهاض لإقامة الدلائل العقلية حسب النصوص النقلية، وتطبيق المقول بالمعقول، والمسموع بالمفهوم نصراً مؤزراً للدّين، وسعيًا جميلاً في جمع شمل المسلمين، ومعدوداً من أعظم القربات، ورأسًا لرؤوس الطاعات، وصار في تدوين هذه الجهود لنصر الدين فوائد جليلة منها:

2- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، بَاب: بَيَان كَوْنِ النَّهْيِ عن الْمُنْكَرِ من الْإِيمَانِ وَأَنَّ الْإِيمَانَ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ وَأَنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عن الْمُنْكَرِ وَاجِبَانِ (50) 50/1، وابن حبان في صحيحه، باب: ذكر البيان بأن الأنبياء كان لهم حواريون يهدون بهديهم بعدهم، (6193) 71/14.

3- متفق عليه: أخرجه البخاري في كتاب الأحكام، (43) باب: كيف يباع الإمام الناس (6774) 2633/6، ومسلم في كتاب الإمارة، باب: وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في معصية، (1709) 1470/3.

4- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الشركة، (6) هل يقرع في القسمة والاستهام فيه، (2361) 882/2، والترمذي في سننه، كتاب الفتن، باب: ما جاء في تغيير المنكر باليد أو باللسان أو بالقلب، (2173) 470/4.

إيضاح معجزة من معجزات نبينا ﷺ ، فإنّه ﷺ كما أتى بالقرآن العظيم فأعجز بلغاء زمانه، ولم يستطع أحد منهم أنْ يأتي بسورة من مثله، ثمّ لما انقرض زمان القرن الأول، وخفي على الناس وجوه الإعجاز قام علماء الأمة فأوضحوها، ليدركه من لم يبلغ مبلغهم، كذلك أتى من الله تعالى بشريعة هي أكمل الشرائع، متضمنة لمصالح يعجز عن مراعاة مثلها البشر، وعرف أهل زمانه شرف ما جاء به بنحو من أنحاء المعرفة حتى نطقت به ألسنتهم، وتبين في خطبهم ومحاوراتهم.

فلما انقضى عصرهم وجب أنْ يكون في الأمة من يوضح وجوه هذا النوع من الإعجاز، والآثار الدالة على أنّ شريعته ﷺ أكمل الشرائع، وأنّ إتيان مثله بمثلها معجزة عظيمة مشهورة.

ومنها: أنّه يحصل به الاطمئنان الزائد على الإيمان كما قال إبراهيم الخليل عليه السلام: ﴿قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: 260]، وذلك أنّ تظاهر الدلائل وكثرة طرق العلم يثلجان الصدر، ويزيلان اضطراب القلب. ومنها: أنّ طالب الإحسان إذا اجتهد في الطاعات وهو يعرف وجه مشروعيتها، ويقيد نفسه بالمحافظة على أرواحها وأنوارها نفعه قليلها، وكان أبعد من أنْ يخبط خبط عشواء، ولهذا المعنى اعتنى الإمام الغزالي في كتب السلوك بتعريف أسرار العبادات»[5].

والعقل لا يغني غناء الشرع، أو الوحي، في إصلاح أحوال الناس، فشهوات السيطرة والغلبة، وأهواء النفوس وجموحها لا يشفي منها إلاّ الوحي الإلهي من لدن الله اللطيف الخبير، فهو الذي يحيط بما يصلح الناس أفرادًا وجماعات، وسياسة واقتصادًا، وحكمًا وعبادة ودنيا وأخرى.

ولقد بُلي العالم بفلسفات شتى منها: الواجبية، أو اللذة والمنفعة، والروحية، أو المادية والفردية، أو الجماعية، وكلّ منها ليس فيها ما يشفي قلوب الناس، أو يقيم العدل بينهم.

وعلى العموم فلا بدّ من كشف أسباب إخفاق كثير من الدعاة، ومعرفة أضدادها، وهي أسباب نجاحهم، وقد قدّم العالم المسلم الشيخ أبو الحسن الندوي صورة مجملة للأزمة الروحية، والخلقية في بعض أقطار الإسلام، وسببها، وعلاجها، ويهمنا ما ذكره

5- حجة الله البالغة للدهلوي8/1، دار التراث، القاهرة.

لأنّه يتعلق بموضوع إخفاق بعض الدعاة من قريب، ويشخّصه بصورة مركزة وموجزة لا تغني عن التّفصيل.

يقول الشيخ أبو الحسن الندوي: «انظر إلى بلاد ضعفت فيها الدعوة إلى الله والربانية وتزكية النفوس من زمان، ونذر فيها وجود الدعاة إلى الله، وتجديد الصلة بالله وإصلاح الباطن، بنفوذ الحضارة الغربية، أو القرب من مركزها، أو بفعل عوامل أخرى. إنّك تشعر بفراغ هائل لا يملؤه التّبحر في العلم، ولا التّعمق في التّفكير، ولا فضل من ذكاء، ولا غنى من أدب، ولا نسب قريب بلغة الكتاب والسنة، ولا نعمة من استقلال.

إنّها أزمة روحية وخلقية لا علاج لها، ومشكلة من أدقّ مشكلات المجتمع لا حلّ لها، فالدهماء والشعب فريسة المادية الرعناء، ونهامة المال العمياء، والأمراض الاجتماعية والخلقية، والمثقفون -الثقافة الدينية- فريسة الحرص على الحياة والمنصب، والأمراض الباطنية من حسد ورياء وأنانية وحبّ الظهور، ونفاق ومداهنة وخضوع للمادة والقوة، والحركات الاجتماعية والسياسة تفسدها الأغراض، وعدم تربية النفوس، وضعف القادة.

والمؤسسات يفسدها الخلاف والشقاق، وقلّة الشعور بالمسئولية، والتفكير الزائد في المادة، وزيادة الرواتب. والعلماء يضعف سلطانهم اهتمامهم الزائد بالمظاهر، وخوفهم الزائد من الفقر، ومن تسلّط الخاصة والعامة، واعتيادهم الزائد للحياة الرخية الناعمة.

ولا علاج لذلك كلّه إلاّ في التزكية النّبوية التي نطق بها القرآن الكريم وبُعث بها الرسول ﷺ، وفي الربانيّة التي طولب بها العلماء ﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ﴾ [آل عمران: 79]»[6].

وسوف أعرض لأهم أسباب إخفاق الكثير من الدعاة، مشيراً إلى عواقبها للدعاة، وللمجتمعات في الدنيا والآخرة، محرضًا على نبذها، والتّخلّق بأضدادها، حتى ترتفع راية الحقّ، وينصر الله من ينصره وهو أولاً وأخراً له الفضل، وله المنّة، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم، عليه توكلت وإليه أنيب.

6- أبو الحسن الندوي في ربانية لا رهبانية: 18، 19.

المبحث الأول: الجهل بحال المدعو، والتّعجل والغرور من جانب الداعية

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الجهل بحال من توجه إليه الدعوة

ليس المحترق من بُعد المسلمين عن دين الله تعالى كمن لا يحسّ بمدى بعدهم عن الدين في سلوكهم، وحكمهم، وكافة قطاعات حياتهم، ولا يتأتى ذلك التأثر بما عليه المسلمون إلاّ بعلم، ونظر، وفهم، وملاحظة، ولذلك يعدّ الجهل بعلوم الدعوة: من تفسير، وحديث، وفقه، وأدب، واجتماع، وعلم نفس، ودراسة لسنن الله في الطائعين والعصاة، وعدم التمرس بالتجربة وسط المجتمعات الإسلامية منذ الصغر دون انقطاع، أو عزلة، يعدّ من أكبر أسباب إخفاق الكثير من الدعاة، ويوجد في المجتمعات الإسلامية الآن ألوان من الدعاة، ما أُعدّوا لها، ولا تأهلهم تجاربهم ولا مواهبهم لاعتلاء المنابر، يصعد بعضهم المنبر فيظل يقول: و. و. و. وكلما فتح الله عليه بمعلومة، أو خاطرة، جاد على الناس بها، فسمع غطيط النيام في المساجد، لا موضوع واحد، ولا إلقاء مشوق، ولا صوت يجذب انتباه الناس، ومع ذلك فهم راضون عن أنفسهم، متهمون لغيرهم بالتقصير، فهؤلاء هم الدعاة اليوم في غيبة الدعاة الفاهمين، المتقنين لعملهم، المخلصين لربهم.

وبعض الدعاة يجهل طبيعة المشاكل وهويتها، وهل هي من نتائج عوجنا في أرضنا، أو هي وافدة علينا؟ فتراه يصف التقليد والتّجديد في سلك واحد، والتّطور والبدعة في سلك واحد، وما لا يغني فتيلاً في تقدّم المسلمين، مع ما يغني، الكلّ عنده واحد.

وتجد الواحد من هؤلاء يجادل بكلّ ما أوتي من قوة حول جدوى علم النفس والاجتماع مثلاً، وغيرهما من العلوم التي لم يدرسها، ولا يعرف عنها شيئًا، ونسي أنّ علم شئون العمران، وطباع الناس وخواصهم، علم إسلامي، وأنّ أمراض النفس، وسلامتها، ممّا تعْمُر به آيات القرآن الكريم، وأحاديث رسول الله ﷺ، وهي أولاً وأخرًا علوم لها أقسام وأساتذة في جامعات الدنيا كلّها، وما من كاتب كتب في الدعوة إلاّ أوصى بدراستها، وحثّ على العناية بها، وجهود أعداء الإسلام في التأثير فينا عبر مخططات ووسائل إعلام كلّها تقوم عليها، فكيف نجهل أسلحة توجه إلينا، وتصوّب

نحو صدورنا، وبعض هؤلاء من يستعمل كلمات، ويكررها حتى تفقد معناها، وتصبح ألفاظًا تصك أذان السامعين، ومن ذلك لفظ (الجبت والطاغوت) حتى صار كلّ شيء لا يستسيغونه، أو يخالفهم في الرأي، جبتًا وطاغوتًا، فأصبح الطعام جبتًا وطاغوتًا، واللّباس جبتًا وطاغوتًا، والأب والأم والأولاد جبتًا وطاغوتًا، وكلّ ما في الوجود جبتًا وطاغوتًا، حتى ملّهم الناس وسئموا العيش معهم.

إنّ التّعامل مع الألفاظ بهذه الطريقة ينم عن عدم الإدراك لحقائق المعاني التي وضعت لها الألفاظ، ويدلّ على قلّة الخبرة بأسلوب الدعوة المجدي، وأنّ أجدى أساليب الدعوة الاقتصاد في الألفاظ الصّاكة للأذان، والتبسط في ألفاظ الإقناع والحكمة والدعوة بالتي هي أحسن، ولنا في رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة في الرفق واللّين وحسن الدعوة، وقد بيّن ذلك الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه فقال: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: 159]، وقوله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: 125]. كما أنّ هناك جهلاً بطبيعة الزمان الذي نعيش فيه، وهل وسائله كوسائل الماضي؟ وارتباطاته كارتباطات الماضي؟

إنّ النّاس اليوم مصالحهم أكثر تشابكًا، ووسائل تواصلهم أكثر سرعة، وأساليب الكيد والغدر أكثر إحاطة وفنًا. ولذا فإنّ على الدعاة فهم كلّ ذلك، وأنّ يعملوا ما وسعهم الجهد على توسيع نطاق الدعوة، واستغلال كلّ الوسائل المتاحة التي من شأنها أنْ تساعد على توسيع مجال الدعوة ونشرها في كلّ مكان كشبكة المعلومات، والقنوات الفضائية، والصحف، ودور النشر، والندوات، والمؤتمرات العلمية، ووسائل الاتصال اللاسلكية، وكلّ ما من شأنه أنْ يتيح لهم التّغلغل في القاعدة العريضة للمجتمعات، هكذا فعل الاستعمار قديمًا، وهكذا تفعل إسرائيل اليوم، وإذا ظل قطاع الدعوة والإرشاد كما هو عليه اليوم، هزيل العدد، ضعيف العُدد؛ فإنّ اكتساحه، واختراقه، يكون سهلاً في أيّ وقت، وفي أي مكان، وبناءه يكون هشًا قابلاً للسقوط عند أي ضغط، أو زلزال.

والذي يتحرى التّخصصات التي تدّرس في الجامعات الأجنبية الموجودة في بلادها، أو في كثير من بلدان الدول الإسلامية يرى مدى اهتمامات غير المسلمين بعاداتنا، وأخلاقنا ومأثوراتنا، واجتماعياتنا، فهم يتغلغلون في صفوف المسلمين بشكل مدروس، ولدى أمريكا وصفة جاهزة، وميزانية معدّة لهذا الغرض، حتى تتمكن من بسط نفوذها، وتحكم سيطرتها على جميع أنحاء العالم، وذلك من خلال إعداد خبراء، وأساتذة متخصصين، ورجال فكر، ورجال أعمال، وإقامة بحوث، وإحصائيات، وغير

ذلك، فهم يعرفون تفاصيل ما يجري في بلاد المسلمين أكثر مما يعرف أبناؤها.

فهل هذا الأمر يوجد عندنا؟! فإنّنا لا نريد كلّ هذا بل نريد أنْ ندرس السيرة النبوية الشريفة، ونفهمها الفهم الصحيح، البعيد عن التّطرف، والغلو، والتّكفير، ومرآة الدعوات جميعًا القرآن الكريم، الذي حوى المسيرة النبوية كلّها من آدم إلى محمد عليهما أفضل الصلاة وأزكى التسليم، وهناك أمور رئيسة قد اتّفقت عليها كلّ الديانات، وهي الإيمان بالله إلهًا، وربًا، وخالقًا، والإيمان باليوم الآخر بعثًا، وسؤلاً، وجنة، ونارًا، وكذلك الإيمان بالنبوة. فإذا اطمئن القلب بهذه انتهض لقبول ما تفرّع عنها، وبُني عليها من تكاليف العادات، والأخلاق، والمعاملات.

والتّغيير في الفرد والجماعة ينبغي أنْ ينبع من داخل النفس الإنسانية، من شغاف القلب، وإلاّ فلن تجدي المبادئ مهما حسنت، وللقلوب أقفال مفتاحها الإيمان بالله، وإذا لم يكن لدينا مفتاح القلوب فلن نستطيع غرس شيء من مبادئنا، ولذا يحتاج غرس العقائد إلى حاضنة قد تطول أزمنة طويلة، وتاريخ نبوة نوح، وإبراهيم، ومحمد -عليهم الصلاة والسلام- خير شاهد على ذلك.

فنحن نرى أنّ: «العلم بحال من توجّه إليهم الدعوة في شئونهم، واستعدادهم، وطابع بلادهم، وأخلاقهم، أو ما يُعبّر عنه في العرف بحالتهم الاجتماعية كان أكبر أسباب نجاهم، وقد روي أنّ من أسباب ارتضاء الصحابة خلافة أبي بكر كونه أنسب العرب، ومعناه: أنّه كان أعلمهم بأحوال قبائل العرب، وبطونها، وتاريخ كلّ قبيلة، وسابق أيامها، وأخلاقها: كالشجاعة، والجبن، والأمانة، والخيانة، ومكانها من الضعف والقوة، والغنى والفقر، وما كان إقدامه مع ما عرف عنه من اللّين وسهولة الخلق على قتال أهل الرّدة إلاّ لهذا العلم الذي كان به على بصيرة، فلم يهبْ، ولم يخفْ، وقد خاف عمر مع شدّته المعروفة على الكفرين والمنافقين، أي خاف أنْ تضعف شوكة الإسلام بمحاربتهم، حتى قال أبو بكر: والله لو منعوني عقالاً ممّا كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه، فهذه قوة العلم لا قوة الجهل، ولك أنْ تقول: إنّ العلم الخاصّ بحال من توجّه إليهم الدعوة من هذه الوجوه لا بدّ أن يكون فرعًا للعلم بهذه العلوم نفسها»[7].

وقد نشأت كما أشرنا سالفًا علوم عن اجتماعيات الشعوب، ونفسياتهم، وعوائدهم، ومدى تأثرهم بالمناخ السياسي والاقتصادي الذي يعيشون فيه.

7- هداية المرشدين للشيخ علي محفوظ: 89.

ووجدت العديد من الدراسات التي تظهر من حين إلى آخر عن طريق وسائل الإعلام المرئية والمكتوبة، تُصنّف على أساسها الشعوب من حيث السذاجة، والدهاء، والكسل، والنشاط، وقبول التّغير، أو الاستعصاء عليه، وأمثل الأساليب والطرق التي يمكن أنْ تستخدم مع شعب دون أخر، ومن حين لآخر تُجري عمليات مسح واستطلاع للرأي العام لدى شعوبنا الإسلامية، وإنْ كانت هي لا تحسّ به؛ لأنّه يجري بوسائل خفية وماكرة، ولانشغال الشعوب بالبحث عن قوت عيشها.

ولا يوجد مُبَشّر يوجه إلى أيّ منطقة، أو جاسوس، أو تاجر من أوروبا، أو أمريكا، إلاّ وكانت عنده صورة مسبقة عمن يذهب إليهم، وهناك معاهد تعلّم هؤلاء وتجهزهم لأداء مهمتهم، وتقدّم لهم معلومات دقيقة ومفصّلة، توفر لهم الوقت والجهد في آن واحد، حتى لا يتبدد، أو يضيع سدى، وحتى لا يفلت من أحابيلهم، ومكرهم، وخداعهم إلاّ من عصمه الله تعالى.

فأين نحن من هذا؟! وماذا قدّمنا للدعاة من بنوك للمعلومات، ودقّة الإحصائيات، والهيئات والمؤسسات التي ترسم الخطط لمن يذهبون للدعوة الإسلامية هنا وهناك، وأين تجهيزهم العلمي ودعمهم المادي والسياسي ... الخ؟.

لا شك أنّنا أمام معركة حامية الوطيس، تحتاج إلى تضافر الجهود، وتوحيد الأهداف، فالعداوة متأججة في صدور الأوروبيين والأمريكيين ضدّ الإسلام والمسلمين، فتارة يعلنونها حربًا صليبية بدعوى محاربة الإرهاب، وتارة يطعنون في القيم الإسلامية، ويسيئون إلي رسول خير البشرية ﷺ من خلال رسومهم المسيئة، التي تعبّر عن حقدهم الدفين، وتعصبهم الشديد، وهذا واضح، فأوروبا قد لا تقبل تعاليم الفلسفة البوذية، أو الهندوسية، ولكنها تحتفظ دائمًا تجاههما بموقف عقلي متزن، ومبني على التفكير، إلاّ أنّها عندما تتّجه إلى الإسلام يختل التوازن، ويأخذ الميل العاطفي بالتّسرب، وهذا يظهر عند أبرز مستشرقيهم، فهم فريسة للتّحزب غير الموضعي، في كتاباتهم عن الإسلام، ومن بحوثهم يظهر على الأكثر عجزهم عن معالجة الإسلام على أنّه موضوع علمي بحث، وهم كالمدعي، وبعضهم كالمحامي الذي لا يطلب إلاّ التخفيف لموكله لإقناعه بأنّه مجرم[8].

إنّ انصراف طوائف من غير المسلمين عن الإسلام، وتملّص كثير من المسلمين

8- ينظر محمد أسد في الإسلام على مفترق الطرق ترجمة عمر فروخ: 52، 56، ط: 8.

من الانصياع لتعاليمه ليدفعنا إلى تحري أنجع الطّرق للتّعامل معهم تعاملاً يحببهم ويرغبهم في الاقتناع بسمو ديننا وسماوية رسالته، وأنّه لا غنى لهم عليه، فالمذاهب المادية زادتهم شقاء، وما يمرون به من أزمة اقتصادية لخير دليل على تخبطهم، وفشل نظريتهم الرأسمالية المبنية على الغش والاحتكار، والربا والقمار، أمّا النظام الاقتصادي الإسلامي فهو مبني على الصدق والأمانة، ويضع النُّظم التي تكفل حقّ الفرد والجماعة، وأمّا أديانهم فزادتهم إنكاراً وضياعًا، ولا يشبع الإنسان روحًا وجسدًا، أو عقلاً وعاطفة إلاّ الإسلام، وهذا يحتاج إلى التّعرف على فكرهم، ومتاعبهم، ومشاغلهم، وانتقاء أسلم الطرق لهدايتهم، إذْ لم تعد اللّجاجة في القول، أو السفسطة في الحجة، أو الرعونة في التّصرف بالقتل والتدمير والتخريب مجدية، ولئن نفعت اليوم فلن تنفع غدًا، فالمطلوب التّعرف على ميول الناس، وتوجهاتهم، وكيفية تحقيق ذلك، وتعريفهم بسماحة الإسلام، ونبذ التّطرف والإرهاب.

وممّا يلحق بالجهل بمتطلبات الدعوة وعلومها غفلة كثيرين من العاملين في حقل الدعوة، إمّا بغير قصد منهم، فهم غافلون بطبعهم، وإمّا لتغافل عمّا يحيط بهم، والغافل بطبعه معذور؛ لأنّه مريض، فأمّا المتغافل فهو معول هدم للأمة من حيث لا يدري، والداعية ذكي بطبعه، ذو بصيرة، وهو يختزن في ذهنه مئات الأخبار، والأحداث، وسير الأشخاص، فإذا لم يكن ذا قدرة ذهنية يختزن فيها معلومات، وأحداث زمانه، فليكن في مذكرته عون على النظر فيما يحدث من أحداث، وما يذكر من أمور قد تبدو لأول وهلة غير ذات أهمية، ثمّ يذّكر بها الناس، وينبّه إليها الغافل، فهو يدرك الأمور قبل تفاقمها، ويعمل على حلّها، ويحثّ النّاس على الوقوف أمامها، وقد يبدو لبعض الناس أنّ امتلاء المساجد بالمصلين هذا هو المطلوب من الداعية، ويرى الداعية غير ذلك؛ لأنّه يدلّ على الانهزامية والانسحاب من ميادين الحياة العملية كما حدث في القرون الماضية، إذْ شُغِل النّاس بالأوراد، والأذكار، والعكوف في المساجد، واعتقدوا أنّ ذلك يطرد الاستعمار من الصليبيين، والتتار، وقد يبدو لبس بعض الأزياء التي تتعارض مع بيئتنا ومجتمعنا أمراً طبيعياً، لكن الداعية يكشف ما وراء ذلك من انهزام عقلي، أو نفسي، وتفسّخ خُلقي، أو انحراف ديني، أو فكري، فينبغي على الداعية أنْ ينبّه على حُسْن بناء الإنسان من الدخل أولاً ليصلح عمله في الخارج.

وممّا يدخل في مجال الغفلة التغميض عن مصائر الضالين والمخالفين مع أنّ القرآن فيه قسط كبير يفتح الأعين على مثل هذه النماذج أفراداً وأممًا، وعلى الداعية

تفتيح عينيه، وأذنيه لمثل هذه الأمور.

وقد تبدو اللفتة في آية، أو حديث، أو في حكمة، أو في بيت شعر، أو قصة، أو غير ذلك، المهم أنْ نطرق عليها في حينها، وليس لهذا كتاب يجمعه، وقد يوجد في سفر الدنيا الواسع، المهم أنْ ينتبه الداعية لما يحيط به من أحداث ومواقف[9].

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: 36]، ووصف سبحانه وتعالى النّاظر غير المُعتبر، والسامع غير المُنْزَجِر، والعاقل غير المتدبر؛ بأنّه أصم، أعمى، أبكم، لا يعقل، قال تعالى: ﴿صُمُّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [البقرة: 18]، وقد حثّ الله جلّ جلاله على السَّير في الأرض، والنظر في بدء الخلق: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ﴾ [العنكبوت: 20]، بل جعل من يسمع ولا يعمل بما يسمع، أو يتكلم بغير الحق، بأنّه شر الدواب: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الأنفال: 22].

المطلب الثاني: التّعجل في قطاف الثمرة

إذا تعجل الداعية في قطاف الثّمرة قبل نضجها؛ فإنّها تأتي فجّة، وفي هذا الأمر سقط كثير من المتحمسين في مجال الدعوة، بسبب قلّة الصبر، ويبدو أنّ فرط الحماس دفعه إلى نسيان تاريخ الأنبياء في مجال الدعوة، وصدق الله العظيم إذْ قال: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾ [الإسراء: 11]، وقال سبحانه: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾ [الأنبياء: 37]، وهذه العجلة أدّت إلى أقوال لا أقول طائشة وإنّما متسرعة، وإلى أفعال ما جرحت الباطل ولا زحزحته قيد أُنملة، وإنّما ألهبت ظهور أصحاب النّوايا الحسنة وغير الحسنة بسياط لو لم يتعجلوا ما نالوها، وفي نفس الوقت أكسبت الباطل حصانة، وحماسًا، وشراسة، كان من الممكن ألاّ يكتسبها، فها نحن نشاهد ونسمع ماذا يفعل العدو بالمسلمين من قتل، وتدمير، وتخريب، واغتصاب، وتعذيب، وتدنيس لكتاب الله الكريم، على مرأى ومسمع من الجميع، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم.

إنّ الدعاة إلى الله تعالى ينبغي أنْ يضعوا عامل الزمن في اعتبارهم، فإنّ ما فسد في عشرات السنين لا يصلح في عشرات الأيام، وهذا التّعجل يذكرني بحكمة النّبي ﷺ

9- ينظر مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية: 276، العدد التاسع، ديسمبر 1978م، جامعة الكويت.

وضبطه لنفسه وهو يمرّ على آل ياسر فيقول: «صبراً آل ياسر فإنّ موعدكم الجنة»[10]، وبموقفه غداة بيعة العقبة الكبرى والأنصار يقولون له: والذي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَئِنْ شِئْتَ لَنَمِيلَنَّ على أَهْلِ مِنًى غَداً بِأَسْيَافِنَا، ويكون الرّد الحكيم «لَمْ نُؤْمَرْ بِهَذَا»[11] ثمّ يهاجر ﷺ إلى المدينة فلا يدخل في معركة مع المشركين إلاّ وهو كفء لهم وبإعداد وتخطيط سابق النضير.

إنّ كثرين من أهل الحماس يظنون أنّهم بعشرات، أو ببضع مئات، أو حتى بضع ألوف يمكنهم صنع شيء ذي طائل مع أنّ الأمور والأحداث تظهر عكس ذلك، فكانت النتيجة التنكيل بهم، ومطاردتهم في الكهوف، والجبال، فمنهم من فرّ ومنهم من قتل، ومنهم من اعتقل، وهذا مرجعه إلى سوء تصرفهم وجهلهم بطرق الدعوة إلى الله تعالى.

فينبغي على الداعية الحكيم المجرّب أنّ ينظر إلى رسل الله عليهم الصلاة والسلام فقد ابتلوا بعقبات، وأوذوا، وهددوا بالقتل والنفي، وغيرهما من ألوان العذاب، فكان العلاج الذي عالجوا به أممهم هو الصبر ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: 34].

وقد توالت آيات الله تحثّ الرّسل، والأمم، والأفراد، والداعين إلى الله على الصبر، وتبشرهم بأنّ العاقبة لهم، وأنّ وعد الله حقّ، ولا شيء يعجل بالحصاد المرّ قدر التّسرع، وعدم الأناة في مجال الدعوة، لقد رُمِيَت تُهَمٌ وعودِيَت شخصيات كان من الممكن صداقتها –من جراء التّسرع، وانعدام الصبر– وتنوسيت دروس أعشى الحماس الفوار عيون وقلوب الكثيرين عنها لما فقدوا الصبر وانبروا عجلين إلى غايات غير واضح لهم عقباها، ولأمر أراده الله يقول في كتابه ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ [العنكبوت: 14]، أيليق بمن كان بيته من زجاج أنْ يرمي غيره بالحجارة؟ ففقدان الرّشد يدفع إلى التّهور، وركوب الصّعب بغير أهبة ولا دربة، وقد يقول البعض

10– المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، لابن حجر العسقلاني، كتاب العلم، (39) باب: فضل عمار ابن ياسر (4002) 295/16، وكنز العمال، فضائل العشر المبشرين بالجنة رضوان الله عليهم، (33565) 333/11.

11– أخرجه أحمد في مسنده من حديث كعب بن مالك الأنصاري (15836) 461/3. والثقات، ذكر بيعة الأنصار بالعقبة الآخرة رسول الله ﷺ 117/1، وأخبار مكة للفاكهي، مسجد البيعة من منى وتفسير ما كان فيه من رسول الله ﷺ 238/4.

إنّكم تخذلوننا، أو جبنتم وتريدون تجبيننا، فنقول معاذ الله أنْ نسعى إلى شيء من ذلك، ولكن أليست الدعوة طاعة؟ فإذا قالوا: بلى، قلنا: فقد أُمرنا بالاقتصاد فيها حتى لا نملّ ويملّ الناس منا، لقد قال الصحابة رضوان الله عليهم: « كان رَسُولُ اللَّهِ يَتَخَوَّلُنَا بِالْمَوْعِظَةِ في الأَيَّامِ مَخَافَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا »[12].

أليست الدعوة عملاً جليلاً، أو هي أجلّ الأعمال جميعًا؟ فإذا قالوا: بلى، قلنا: خذوا للأمر الجليل أهبته العلمية والفكرية، والله إنّك لتحزن عندما تشاهد أحد المنتسبين للدعوة وهو يتحدث في إحدى القنوات الفضائية وهو ما يحسن قراءة الآية القرآنية، ناهيك عن عدم قدرته على إقامة الإعراب في جملة، فهذا أمر خطير ينبغي التّنبه إليه؛ لأنّ الأمر يحتاج إلى أهبة واستعداد أيذهب أحدنا إلى السوق وفي جيبه الدنانير، ويذهب إلى الدعوة ورأسه فارغ؟ وعمومًا فإنّ الأمور تحتاج إلى صبر وتجمّل، وبعد عن العجلة والتسرع، وكما قيل: في التأني السلامة وفي العجلة الندامة، والذين تعجّلوا وتسرّعوا في بادي أمرهم عندما راجعوا أنفسهم وجدوا أنّهم تعجلوا وجانبهم الصواب، وكلّما نضج أحدهم نبذ العجلة وتحلّى بالأناة والرويّة ومال إلى السمع أكثر من ميله للكلام، والله الهادي إلى سبيل الرشاد.

المطلب الثالث: غرور الداعية

الدعوة عمل يتطلب من القائم به أنْ يراعي أوامر الله في أفعاله وأقواله، وأنْ يجتنب نواهيه، ويقتدي برسوله ﷺ في كلّ ما يصدر عنه من قول أو عمل، وينبغي أنْ يكون عمله من أجل تجميع الناس حول الدين الذي يعتنقه والدعوة التي يريد لها الذيوع والانتشار، ولذا لا بدّ أنْ يكون متحلّيًا بحسن الخلق ولين الجانب، وينأى عن الاغترار بالنفس مهما بلغ من نجاح، أو اعتلى من مراتب، أو مناصب، أو أُوتي من علم، وذكاء، وتوفيق، فهذه كلّها من فضل الله وتوفيقه، والذي يزكيها ويبقيها حسن استعمالها، وإدامة شكرها، وقد تلاحظ وتحتكّ في بعض الأحيان بمن انتسبوا إلى مجال الدعوة، ونصّبوا أنفسهم دعاة، وقد انتفخت أوداجهم، وامتلأت أجسامهم ونفوسهم غرورًا وكبرًا، فتجد أحدهم يكتب رسالة جامعية في موضوع ما، فتقول له: إنّ فلانًا كتب في هذا

12- متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب، العلم، (11) باب: ما كان النّبي ﷺ يتخولهم الموعظة والعلم كي لا ينفروا، (68) 38/1، ومسلم في صحيحه، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، (9) باب: الاقتصاد في الموعظة، (2821) 2172/4.

الموضوع، فيقول: ومن فلان؟، وهو عَلَمٌ من أعلام الدعوة، بل منهم من ركب الغرور رأسه، فيقول لم يسبقني أحد في هذا الموضوع لا قديما ولا حديثًا، وإذا ما اطلعت على ما كتبه فتجده عبارة عن نقل وتكرار وركاكة في الأسلوب، وبعض الدعاة يأتي ليلقي محاضرة في بلد ما، فيحضر بجانبه بعض دعاة ذلك البلد، فلا يلتفت إليهم، ولا يصافحهم، ولا يجلس بجانبهم، ثمّ يحاضر فيلقي كلامًا غثًا تملّه الأسماع.

إنّ التّكبر على خلق الله واستصغارهم لا يكبّر الصّغير بل أنّه يصغّر الكبير، والكبر والغرور واديان من منبع واحد، وهو أنْ يضع الإنسان نفسه في غير موضعها[13]. وقد ذم الله سبحانه وتعالى الكبر والغرور، فمن ذم الكبر في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ ﴾ [الأعراف: 146]، وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: 35]، وقوله: ﴿أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴾ [الزمر: 60].

ومن السنة النبوية الشريفة قوله ﷺ لأصحابه: « ألا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ قالوا: بَلَى، قال ﷺ: كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعَّفٍ لو أَقْسَمَ على اللَّهِ لَأَبَرَّهُ، ثُمَّ قال: ألا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ، قالوا: بَلَى، قال ﷺ: كُلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ »[14]، وعن عبد اللَّهِ بن مَسْعُودٍ عن النَّبِي ﷺ قال: « لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ من كان في قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ من كِبْرٍ قال رَجُلٌ إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً قال إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ والْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ »[15].

فأمّا الغرور فقد نهى عنه الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه فقال: ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ﴾ [لقمان: 33]، وهو ركون الإنسان إلى ما تحسِّنه له نفسه الأمّارة بالسوء نتيجة لشبهة يلقيها الشيطان في قلبه فيزين له سوء عمله، فيظن بنفسه الخير وما هو بخيّر، ويظن بنفسه الصّلاح وما هو بصالح.

13- ينظر قوارب النجاة في حياة الدعاة، لفتحي يكن: 68، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى2001م.

14- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، (9) باب: الاقتصاد في الموعظة (2821) 2172/4، والجمع بين الصحيحين، مسند حارثة بن وهب الخزاعي، (353) 256/1، والمعجم الكبير للطبراني، (3255) 256/1.

15- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، (39) باب: تحريم الكبر وبيانه (91) 93/1، وابن حبان في صحيحه، الفصل الأول: ذكر ما يستحب للمرء تحسين ثيابه وعمله إذا قصد به غير الدنيا (5466) 280/12، ومسند أبي يعلى (5013) 430/8.

والمهم أنّ الغرور في مجال الدعوة أمر ممقوت وكثيراً ما نسمع ونرى المتحدثين عن أنفسهم بأننا، ونحن، وكنا، وفعلنا، وسافرنا ... الخ هذه الضمائر التي يعظم فيها الفرد نفسه، ولقد ذكر الإمام الغزالي فرقة من المغرورين، فبيّنها بقوله: وفرقة أخرى اشتغلوا بالوعظ والتذكير، وأعلاهم رتبة يتكلم في أخلاق النفس، وصفات القلب من الخوف، والرجاء، والصبر، والشكر، والتوكل، والزهد، واليقين، والإخلاص، والصدق ونظائره، وهم مغرورون، يظنون بأنفسهم أنّهم إذا تكلموا بهذه الصفات ودعوا الخلق إليها فقد صاروا موصوفين بهذه الصفات، وهم منفكون عنها عند الله إلاّ عن قدر يسير لا ينفك عنه عوام المسلمين، وغرور هؤلاء أشدّ الغرور؛ لأنّهم يعجبون بأنفسهم غاية الإعجاب، ويظنون أنّهم ما تبحروا في علم المحبة إلاّ وهم محبون لله، وما قدروا على تحقيق دقائق الإخلاص إلاّ وهم مخلصون ...[16].

والاغترار بالنفس، أو الدوران حول الذات، لا يبدوا في طلب الريادة بالأساليب القذرة وحسب كلا أنّه يبدو في تنقّص رجل معروف، أو اعتناق رأي شاذ، أو المكابرة في حوار، أو ما شابه ذلك من مواقف لأناس يعملون في الميدان الديني، أو الميدان المدني على السواء، وقد ورد أنّ هؤلاء أول من تسعّر بهم النّار يوم القيامة ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ﴾ [القصص: 83].

ومن المعلوم أنّ النّاقص في نفسه لا يُجدي في تكميل غيره، ففاقد الشيء لا يعطيه، ومحاولة مداراة الغرور أو الكبر لا بدّ أن تنكشف كما قال القائل:

ومهما تكن عند امرئ من خليقة وإنْ خالها تخفى على الناس تعلم

وإذا كان الداعية سهل النفس خفيض الجناح مجانبًا للعُجب فذلك يجعل القلوب تحفّ به إجلالاً، والأعناق تشرئب إليه احترامًا، وإلاّ فكيف يطرق قلوب الناس من هو عليهم متكبر؟! وكيف يلقي الله الحلاوة في لسانه المغرور؟! إنّه يصرخ في وادٍ، وينفخ في رمادٍ، والله لا يبارك إلاّ فيمن يلحظونه بنياتهم عند أعمالهم. فهذا الفضيل بن عياض يُسْأل عن التّواضع ما هو؟ فيقول: أنْ تخضع للحقّ، وتنقاد له، ولو سمعته من أجهل

16- ينظر إحياء علوم الدين395/3، و المتساقطون على طريق على طريق الدعوة لفتحي يكن: 98، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى2001م.

النّاس قبلته[17].

وعلى الجملة فقد وصف الله نبيّه ﷺ في كتابه العزيز بأنّه رءوف رحيم، فقال: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: 128]، وأمره بخفض الجناح، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: 215]، ووصف المؤمنين بالذلّة بعضهم لبعض، وبالعزّة على الكافرين، فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: 54].

فإذا أصبح الداعية أخا الشاب، ووالد الصبي، وابن الشيخ، وعامل النّاس بحسن الخلق، وأنكر ذاته علا في عيون الجميع، ودخل حبّه في قلوبهم، أمّا إذا تكبر، وتعالى، ونسي الله، فتعس في الدنيا والآخرة.

المبحث الثاني: سوء الخلق، والقسوة والتّشدد في الدعوة

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: القوة والقسوة

إنّ الهدف من الدعوة هو إصلاح القلوب والأخلاق والدين، ولكي يتحقق هذا فلا بدّ أن يكون الداعية قلبه طاهراً، ولسانه بالحق صادعًا، ولذا فإنّ الرّفق مطلوب حتّى لا يكون الداعية سببًا في تيئيس النّاس من رحمة الله، وتبغيضِ الدِّين إلى الخلق، فأمّا النّظر إلى العصاة بعين الرّيبة والاحتقار فذلك ما لا يليق، ولئن عفِي الإنسان من حرّ المعصية فينبغي عليه أنْ يحمد الله على ذلك، وينظر إلى الوَاقِع فيها نظرة رفق، وودّ، ورحمة، فهو معافى، والوَاقِع فيها مريض، ويجب ألاّ يكون عونًا للشيطان على أخيه.

إنّ بعض من يوصفون بالمتشددين تسرع ألسنتهم بكلمات من التّبديع، والتّكفير، والعزلة، والمقاطعة للعصاة، وللمجتمعات، وقد يكون لديهم المبرر والحجة على هذا السلوك، ولكن الرّفق واللّين والأخذ بيد العاصي إلى الصواب أفضل من الترامي بهذه التهم، التي لا تزيد العاصي إلاّ بعدًا، ونفوراً، ولا تزيدنا إلا تفككًا، وضعفًا.

يقول الإمام الغزالي رحمه الله: وهفوة الصديق لا تخلو إمّا تكون في دينه

17- ينظر إحياء علوم الدين3/342.

بارتكاب معصية، أو في حقّك بتقصيره في الأخوة، فأمّا الأولى: فعليك التّلطف في نصحه بما يجمع شمله، ويعيده إلى الصلاح والورع، فإنْ لم تقدر وبقي مصراً فقد اختلفت طرق الصحابة والتابعين في إدامة حقّ مودّته، أو مقاطعته، فذهب أبو ذر إلى الانقطاع، وقال: إذا انقطع أخوك عمّا كان عليه فأبغضه من حيث أحببته، ورأى ذلك من مقتضى الحبّ في الله، والبغض في الله، وأمّا أبو الدرداء، وجماعة من الصحابة، فذهبوا إلى خلافه، فقال أبو الدرداء: وإذا تغيّر أخوك وحال عمّا كان عليه فلا تدعه لأجل ذلك، فإنّ أخاك يعوج مرة ويستقيم أخرى.

وكذلك حُكِي عن أخوين من السّلف انقلب أحدهما عن الاستقامة، فقيل لأخيه: ألا تقطعه، وتهْجُره، فقال: أحوج ما كان إليّ في هذا الوقت لما وقع في عثرته أنْ آخذ بيده، وأتلطّف له في المُعاتبة، وأدعو له بالعود إلى ما كان عليه.

فهذه طريقة قوم، وهي ألطف وأفقه من طريقة أبي ذر، وطريقته أحسن وأسلم. فإنْ قلت: ولمَ قلتَ هذه ألطف وأفقه، ومقارف هذه المعصية لا تجوز مؤاخاته ابتداء فتجب مقاطعته انتهاء؛ لأنّ الحكم إذا ثبت بعلة فالقياس أنْ يزول بزوالها، وعلّة عقد الأخوة التعاون في الدِّين ولا يستمر ذلك مع مقارفة المعصية.

فكونه ألطف فلما فيه من الرّفق، والاستمالة، والتّعطف المفضي إلى الرجوع والتوبة لاستمرار الحياء عند دوام الصحبة، ومهما قوطع وانقطع طمعه عن الصحبة أصر واستمر.

وأمّا كونه أفقه فمن حيث إنّ الأخوة عقد ينزل منزلة القرابة فإذا انعقدت تأكّد الحقّ ووجب الوفاء بموجب العقد، ومن الوفاء به ألا يُهْمل أيام حاجته وفقره، وفقر الدين أشدّ من فقر المال، وقد أصابته جائحة وألمت به آفة افتقر بسببها في دينه، فينبغي أنْ يراقب ويراعى ولا يهمل، بل لا يزال يتلطف به ليعان على الخلاص من تلك الواقعة التي ألمت به، فالأخوة عدّة للنائبات وحوادث الزمان، وهذا من أشدّ النوائب، والفاجر إذا صحب تقيًا وهو ينظر إلى خوفه ومداومته فسيرجع عن قريب، ويستحيي من الإصرار، بلِ الكسلان يصحب الحريص في العمل فيحرص حياءً منه.

وهذا التّحقيق هو أنّ الصداقة لُحْمة كلُحمة النّسب، والقريب لا يجوز أنْ يُهْجر بالمعصية، ولذلك قال الله لنبيّه ﷺ في عشيرته: ﴿ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا ﴾ [الشعراء: 216]ولم يقل إنّي بريء منكم مراعاة لحقّ القرابة ولُحمة النّسب، وإلى هذا

أشار أبو الدرداء لمّا قيل له: ألا تبغض أخاك وقد فعل كذا؟ فقال: إنّما أبغض عمله، وإلاّ فهو أخي ...[18].

وقد ورد مدح رسول الله ﷺ بأنّه ليس فظًا ولا غليظ القلب، ولذلك أجمعت القلوب على محبته ﷺ، قال سبحانه وتعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران: 159]، ولقد بوّب الإمام مسلم بابين في صحيحه عن الرّفق، ونقل عنه الحافظ المنذري في مختصر صحيح مسلم ثلاث أحاديث هي: عن جرير قال: سمعت رسول الله: يقول: « من يحرم الرّفق يحرم الخير كلّه »[19]، وعن عائشة –رضي الله عنها– زَوْج النّبي ﷺ عن النّبي ﷺ قال: « إنَّ الرِّفْقَ لاَ يَكُونُ فِي شَيْءٍ إلا زَانَهُ، ولا يُنْزَعُ من شَيْءٍ إلاّ شَانَهُ »[20]، وعنها أيضًا قالت: اسْتَأْذَنَ رَهْطٌ من الْيَهُودِ على النّبي ﷺ فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكَ، فقلت: بَلْ عَلَيْكُمْ السَّامُ واللّعنه، فقال ﷺ: « يا عَائِشَةُ إنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ في الْأَمْرِ كُلِّهِ، قلت: أو لم تَسْمَعْ ما قالوا، قال: قلت وَعَلَيْكُمْ »[21].

ومن الرّفق تناول العاصين بالتّعريض وبالتّلميح لا بالتّصريح، يقول الغزالي: « ومن وظائف المعلم أيضًا: أنْ يزجر المتعلم عن سوء الأخلاق بطريق التّعريض ما أمكن ولا يصرّح، وبطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ؛ فإنّ التصريح يهتك حجاب الهيئة، ويورث الجرءة على الهجوم بالخلاف، ويتيح الحرص على الإصرار »[22].

ويقول الإمام الشافعي رحمه الله:

تعهدني بنصحك في انفرادي ... وجنبني النّصيحة في الجماعة
فإنّ النّصح بين النّاس نوع ... من التوبيخ لا أرضى استماعه

18– ينظر إحياء علوم الدين2/184.

19– أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، (1) باب: في الرفق، (4809) 4/255، والمعجم الكبير (2452) 2/345، والمعجم الكبير (2452) 2/347.

20– خرجه مسلم كتاب البر والصلة والأدب، باب النهي عن لعن الدواب وغيرها، (2594) 4/2004، وكنز العمال، الاقتصاد والرفق في الأعمال بلا إفراط ولا تفريط (5361) 3/19.

21– متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، (92) كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، (4) باب: إذا عرّض الذمي وغيره بسب النبي ﷺ ولم يصرح، (6528) 6/2539، ومسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، (3) باب: فضل الرفق، (2593) 4/2003.

22– إحياء علوم الدين1/57.

والداعية كالوالد، وكذا المعلم، بل قد يكون حقّهما أعظم من حقّ الوالدين لاختلاف المنفعة الواردة للإنسان من كليهما، ولذا وجب على المعلم، وكذا الداعية، الشفقة على المتعلمين وأنْ يجريهم مجرى بنيه، قال رسول الله ﷺ: « إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ مِثْلُ الْوَالِدِ لِوَلَدِهِ ... »[23]، بأنْ يقصد إنقاذهم من نار الآخرة، وهو أهم من إنقاذ الوالدين لولدهما من نار الدنيا، ولذلك صار حقّ المعلم أعظم من حقّ الوالدين، فإنّ الوالد سبب الوجود الحاضر والحياة الفانية، والمعلم سبب الحياة الباقية، أي معلم علوم الآخرة، أو معلم علوم الدنيا على قصد الآخرة لا على قصد الدنيا، لأنّه هلاك وإهلاك نعوذ بالله منه، ونحن مطالبون بنبذ القسوة حتّى مع الكفار إذا كان ذلك أدعى إلى تليين قلوبهم وتأليفها، فما بالك بأخيك المسلم، والله ولي الأمر والتدبير.

المطلب الثاني: سوء الخلق

إنّ شرّ النّاس من وضع في مكان التّوجيه والتّعليم وهو ليس أهلاً لذلك، فهو فتنة لمن اتّبعه، ومن لم يتبعْه، فأمّا فتنة لمن اتّبعه، فهو يقلّده فيما هو عليه من سوء، وأمّا فتنة لمن لم يتبعْه فهي في تبغيض الدّين إليه بسوء سيرته، وبالتّالي يصبح عائقًا أمام عمل غيره، وحين يعايش الإنسان ألوانًا من هذه النّماذج السيئة، ويحتك بها في حياته العملية في بيعهم وشرائهم، وأكلهم وشربهم، وإقامتهم وترحالهم، يجدهم معيبين فلا يطمأن إلى صحبتهم، ولا يوثق في شهادتهم، فالخيانة تلازمهم، والطّمع مسيطر عليهم، لهم ظاهر منمق، وباطنه الله أعلم به.

وقد بليت الدّعوة بناس منهم حُمِلوا عليها، ولم تُحْمل عليهم، وانتفعت دنياهم منها، ولم تَنتفع منهم، ولعظم الأمر كانت الرّسالة اصطفاءً واجتباءً، والله يجتبي لذلك من يشاء من عباده، وصدق الله إذ قال: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ۚ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴾ [العنكبوت: 10-11].

ولذلك ترى الفتن تحيط بهم، والمؤامرات بين صفوفهم، لا يشغلون بعدوهم؛ لأنّهم مشغولون عنه بأنفسهم، خَبِرَهُم أعداءُ الإسلام، ولم يخبروهم، واستعدوا لهم، وما

23- صحيح بن خزيمة، جامع أبواب الاستنجاء والاستجمار، (62) باب: النهي عن الاستطابة باليمين (80) 43/1، وابن ماجه في سننه، كتاب الطهارة وسننها، (6) باب الِاسْتِنْجَاءِ بِالْحِجَارَةِ والنهى عن الرَّوْثِ وَالرِّمَّةِ، (313) 114/1.

أعدّوا هم شيئًا، لا تعرف لهم بطنا ولا ظهرًا، ولا سخطًا ولا رضا، يظهرون الرضا وهم ساخطون، ويظهرون السخط وهم راضون، يعظون ولا يتّعظون، وينصحون ولا ينتصحون.

يقول الإمام الغزالي رحمه الله: «الخُلُقُ صفة سيد المرسلين، وأفضل أعمال الصديقين، وهو على التّحقيق شطر الدين، وثمرة مجاهدة المتّقين، ورياضة المتعبدين»[24].

ولهذا فقد وردت عشرات الأحاديث الشريفة في ذم الأخلاق السيئة منها: ما رواه النواس بن سمعان قال: سألت رسول الله ﷺ عن البرّ والإثم، فقال: «الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالإِثْمُ ما حَاكَ في صَدْرِكَ[25]، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عليه النَّاس»[26]. وما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- قال: لم يَكُنِ النّبي ﷺ فَاحِشًا، ولا مُتَفَحِّشًا، وكان يقول: «إنَّ من خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلاقًا»[27]. وما روي عن أبي ثَعْلَبَةَ الخشني أنّه قال: قال رسولَ الله ﷺ: «إنَّ من أَحَبِّكُمْ إلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يوم الْقِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلاقًا، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إلَي وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يوم الْقِيَامَةِ الثَّرْثَارُونَ[28]، وَالْمُتَشَدِّقُونَ[29]، وَالْمُتَفَيْهِقُونَ، قالوا يا رَسُولَ اللَّهِ: قد عَلِمْنَا الثَّرْثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ، فما الْمُتَفَيْهِقُونَ؟ قال: الْمُتَكَبِّرُونَ»[30].

24- إحياء علوم الدين3/49.

25- أي لم ينشرح به قلبك، وشك، وارتاب فيه.

26- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، (5) باب: تفسير البر والإثم (2553) 1980/4 الترمذي في سننه، كتاب الزهد، (52) باب: ما جاء في البر والإثم (2380) 597/4، والدارمي في سننه، كتاب الرقاق، (73) باب: في البر والإثم (2789) 415/2.

27- متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، (20) باب صفة النبي ﷺ، (3366) 1305/3، 1306، والجمع بين الصحيحين، في المتفق عليه من مسند أبي محمد بن عبد الله بن عمر بن العاص، (2926) 415/3، ومجمع الزوائد، كتاب الأدب، باب: ما جاء في حسن الخلق 415/2.

28- الثرثار: هو الكثير الكلام تكلفًا.

29- المتشدق: هو المتكلم بملء شدقيه تفاصحًا وتعظيمًا لكلامه.

30- أخرجه أحمد في مسنده، (17767) 139/4، وابن حبان في صحيحه، باب: حسن الخلق، ذكر البيان بأن من أحبّ العباد إلى الله وأقربهم من النبي ﷺ في القيامة من كان أحسن خلقا، (482) 231/2، ومن طريق جَابِرٍ أخرجه الترمذي في سننه، كتاب البر والصلة، (71) ما جاء في معالي =

وسيئات الأخلاق تحمل البلاء، وتتسبب في نشر الفرقة والحقد والبغض بين الناس العاديين، فما بالك لو كان ممّن يُقتدى به سيء الخُلق، فاحش اللّسان، غليظ الجانب، لا شك أنّ ذلك يلحق الضرر به، وبمن اقتدى به، وقد روي عن الإمام علي عن النّبي ﷺ أنّه قال: « إذا فَعَلَتْ أُمَّتِي خَمْسَ عَشْرَةَ خَصْلَةً حَلَّ بها الْبَلَاءُ، فَقِيلَ: وما هُنَّ يا رَسُولَ اللَّه، قال: إذا كان الْمَغْنَم دُوَلاً، وَالأَمَانَةُ مَغْنَمًا، وَالزَّكَاةُ مَغْرَمًا، وَأَطَاعَ الرَّجُلُ زَوْجَتَهُ وَعَقَّ أُمَّهُ، وَبَرَّ صَدِيقَهُ وَجَفَا أَبَاهُ، وَارْتَفَعَتِ الأَصْوَاتُ فِي الْمَسَاجِدِ، وكان زَعِيمُ الْقَوْمِ أَرْذَلَهُمْ، وَأُكْرِمَ الرَّجُلُ مَخَافَةَ شَرِّهِ، وَشُرِبَتْ الْخُمُورُ، وَلُبِسَ الْحَرِيرُ، وَاتُّخِذَتْ الْقَيْنَاتُ وَالْمَعَازِفُ، وَلَعَنَ آخِرُ هذه الْأُمَّةِ أَوَّلَهَا، فَلْيَرْتَقِبُوا عِنْدَ ذلك رِيحًا حَمْرَاءَ، أو خَسْفًا وَمَسْخًا »[31].

فانظر الآن إلى حال الكثير من الشّباب ممّن قرأ كتابًا، أو بعض كتاب، ثمّ أصبح يُفْتي بالكتّاب والسنّة، ويقول لك هذا مذهب السّلف الصّالح، فيُبَدِّع هذا، ويُفسِّق هذا، ويكفّر ويطعن في ذاك، ويتنكّر لمن علّمه وكان له فضل عليه، بل يتهكم ويستهزئ بعلماء الأمة الراسخون في العلم، وإذا ما قلت له لمَ فعلت كذا؟ وهذا لم يقلْ به علماؤنا، يقول لك نحن رجال وهم رجال، وهو لا يفهم الفعل من الفاعل، ولا الغث من السّمين، وهذا إنْ دلّ على شيء إنّما دلّ على جهله، وغروره، وسوء خلقه، فمثل هذا ومن على شاكلته يكون وبالاً على الدعوة والدعاة.

المطلب الثالث: غلبة الطمع

عندما تفتح الدنيا أبوابها وتقبل بزخرفها من كلّ مكان، هنا تتبدّل القيم، فيصبح الكمالي ضروريًا، والحرام حلالاً، والغشّ والرشوة والتزوير عملاً شريفًا، وممّا لا شك فيه أنّ العاملين في مجال الدعوة ناس من النّاس، وزوجاتهم وأولادهم بشر من البشر، يتأثرون بمن حولهم، والنّاس كلّ ينظر إلى من هو أعلى منه، ولا ينظر إلى من هو أقلّ

=

الأخلاق، (2018) 370/4، وقال حديث حسن.

31- أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الفتن، (38) بَاب: ما جاء في عَلَامَةِ حُلُولِ الْمَسْخِ وَالْخَسْفِ (2210) 494/4، وقال فيه هذا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ من حديث عَلِيِّ بن أبي طَالِبٍ إلا من هذا الْوَجْهِ ولا نَعْلَمُ أَحَدًا رَوَاهُ عن يحيى بن سَعِيدٍ الْأَنْصَارِيِّ غير الْفَرَجِ بن فَضَالَةَ وَالْفَرَجُ بن فَضَالَةَ قد تَكَلَّمَ فيه بَعْضُ أَهْلِ الحديث وَضَعَّفَهُ من قِبَلِ حِفْظِهِ وقد رَوَاهُ عنه وَكِيعٌ وَغَيْرُ وَاحِدٍ من الْأَئِمَّةِ، وكنز العمال، الفصل الثاني في الفتن والهرج، (30866)54/11.

منه، ولذا صارت المطامع مسيطرة، فأهمل العمل الحقيقي، وهو الدعوة إلى الله تعالى، وتبددتِ الجهود في أعمال أخرى، لقدِ اضطر العاملون في مجال الدعوة إلى العمل في مجالات غير مجالاتهم، لكي يلحقوا بمن سبقهم إلى الدنيا، وتربع في نعيمها الزائل، معتقدًا دوام ذلك، ولكن هيهات أنْ يبقى ويستمر، وهذا الأمر يصرف الداعية عن عمله الحقيقي، وهو القراءة، والبحث، ومتابعة العلم، فالمال مغري، والحجج جاهزة، فإذا ما سألت أحدًا من هؤلاء لماذا فعلت كذا؟ فيقول لك: كان الأئمة تجاراً، ونعم المال الصالح للرّجل الصّالح، ويمرّ العام تلو الأخر وهو لا يقرأ كتابًا، ولا يراجع مسألة، ولا يلقي عظة جيدة، حتى أنّ الكثير منهم ممّن يأخذ مرتبه وهو لا يقدّم عملاً.

والمسلمون مطالبون بتعمير الدنيا وتملّكها، ولكن لاستهلاكها لا لتستهلكهم، واستعبادها دون أنْ تستعبدهم، فليس العيب أنْ نملك ولكن العيب أنْ نركن إلى ما نملك، وناهيك بما يحدث فهو شيء يقبض القلب والنفس.

والمفروض أنّ الدعاة هم أكثر النّاس عبرة من مثل قوله تعالى: ﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا ٱلۡغُرُورِ ﴾ [الحديد: 20].

وعن أبي سعيد الخدري قال: جَلَسَ ذَاتَ يَوْمٍ رسولُ الله ﷺ على المنبر وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ، فقال: « إِنِّي مِمَّا أَخَافُ عَلَيْكُمْ من بَعْدِي ما يُفْتَحُ عَلَيْكُمْ من زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا »[32]. وقال سفيان الثوري: العَالِم طبيب هذه الأمة، والمال داؤها، فإذا كان يجرّ الدّاء إلى نفسه، فكيف يعالج غيره؟![33].

وليس معنى هذا الدعوة إلى الفقر والانكماش ونبذ كلّ جديد، كما يفعل بعض الجهلة ظنًا منهم أنّهم بتركهم استعمال الأجهزة والآلات الحديثة يكونون مطبقين للسنّة نابذين للبدعة، وكأنّ الإسلام يدعو إلى الجهل والتخلف، والبقاء في مكان واحد دون مواكبة التّطور العلمي، والتّقدم التكنولوجي، بلِ المراد من ترك الدنيا هو الاعتدال في المطالب، والرِّضا بعطاء الله، وقد حدّد الرّسول الكريم ﷺ ما يحصله العبد من ماله، فعن

32- متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، (46) باب: الصدقة على اليتامى، (1396) 532/2، ومسلم، كتاب الزكاة، (41) بَاب: تَخَوُّفِ ما يَخْرُجُ من زَهْرَةِ الدُّنْيَا، (1025) 728/2.

33- ينظر هداية الراشدين: 86، 87.

أبي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قال: «يقول الْعَبْدُ مَالِي مَالِي، إِنَّما لَهُ مِنْ مَالِهِ ثَلاَثٌ ما أَكَلَ فَأَفْنَى، أو لَبِسَ فَأَبْلَى، أو أَعْطَى فَاقْتَنَى، وما سِوَى ذلك، فَهُوَ ذَاهِبٌ وَتَارِكُهُ لِلنَّاسِ»[34].

ولا ينبغي للداعية أنْ يفرح بإقبال الدنيا عليه، فهي على مدار التّاريخ مُعْرِضة عن الدعاة إلى الله بحقّ، متنكبة طريقهم، متجهمة لهم، فهم ليسوا أبناءها لتعرفهم، وإنّما أبناؤها المقبلون عليها، المشمِّرون لها من أكلي ما لذة وطاب، ومقتني ملايين الدينارات، والاستراحات والعمارات، ومحبي مناصبها بما حواها من زخارف ونفاق[35].

المطلب الرابع: التشدد والتكفير

عبوس الوجه والنظر الشرر إلى النّاس خِلَّة ملازمة لبعض المنتسبين إلى الإصلاح والدعوة، وسيلان تهم التّكفير والتبديع والتفسيق على ألسنتهم أشبه ما يكون بسيلان الماء من منحدره العالي إلى الوادي، لقد ألقوا بأقوالهم ظلالاً كثيفة من القتامة على أناس كثيرين كانوا ومازالوا أئمة نضّر الله بهم وجه الأمة الإسلامية، وسلّطوا هؤلاء المتشددين قذائفهم القاتلة على الموتى والأحياء على حدّ سواء، وزرعوا تهم العلمانية، والمخالفة للسنّة النبوية، وأئمة الكفر والضلال، ولم يستحوا من قول ذلك جهاراً، وتجد الواحد من هؤلاء يحلّل ويحرّم ويبدّع ويكفر، وإذا ما سألته عن بعض أمهات الكتب في الفقه وأصوله، والعقيدة، والسنّة وغيرها، تجده يقف عاجزاً، ويقول لك أنا لا أعترف إلاّ بالشيخ فلان، والشيخ علاّن، وهو لم يدرس عليهم بل لعله سمع عنهم بواسطة شريط كاسيت، أو قرأ لهم كتيب من الكتيبات، ثمّ لا يتورّع من أنْ يتصدّر للفتوى، والتكفير، والتّبديع، وغير ذلك من مصطلحات المتشددين، والنماذج التي تُظهر التّشدد والتّكفير يلاحظ وراءها مطالب دنيوية نهمة، والذي يلاحظ بعضًا منهم ويشاهد تصرفاتهم يصاب بالحرج ممّا يرى ويسمع، وبكلِّ صدق فالإسلام لن ينتصر وهو محصور في بوتقة ضيقة لا ينزاح عنها، فالدعوة الإسلامية مَن أهم ملامحها اللّين واليسر والسماحة، ووكِّل النّاس إلى ظواهرهم، فأمّا بواطنهم فالله أعلم بها، والله سبحانه يقول: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ﴾ [البقرة: 185]، وقال: ﴿جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: 78].

34- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق، (2959) 2273/4. وأحمد في مسنده، (9328) 412/2.

35- ينظر مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية: 303، العدد التاسع، ديسمبر 1978م، جامعة الكويت.

وعن أبي هُرَيْرَةَ عن النّبي ﷺ قال: « إنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إلا غَلَبَه، فَسَدِّدُوا، وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ، وَشَيْءٍ من الدُّلْجَةِ »[36]، وعن أنس عن النّبي ﷺ قال: « يَسِّرُوا ولا تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا ولا تُنَفِّرُوا »[37]، ويرشدنا ﷺ إلى أنّنا لا نُكلّف ما لا نطيق، فعن عائشة -رضي الله عنها- « أنّ النّبي ﷺ دخل عليها وعندها امرأة قال: من هذه؟ قالت: فُلانَةُ، تَذْكُرُ من صَلاتِهَا، قال: مَهْ، عَلَيْكُمْ بِمَا تُطِيقُونَ، فَوَاللَّهِ لا يَمَلُّ الله حتى تَمَلُّوا، وكان أَحَبَّ الدِّينِ إليه ما داوم عليه صَاحِبُهُ »[38].

وأحاديث التّخفيف في الصلاة، وغضب الرّسول ﷺ حين شكا إليه الصحابة تطويل معاذ، وإباحة الإفطار في السفر ... الخ، كلّ هذا يدل على الرفق، وينبذ التشدد، والغلظة[39].

فأمّا رمي النّاس بالكفر فشيء غير مسموح به إلاّ إذا كان هناك كفر بيّن فعلاً، ولذلك حرّم على المسلم أنْ يرمي أخاه المسلم، أو أخته بالكفر، فعن أبي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: « إِذَا قَالَ الرَّجُلُ لِأَخِيهِ يا كَافِرُ، فَقَدْ بَاءَ بِهِ أَحَدُهُمَا »[40].

فنحن مأمورون أنْ نكل النّاس إلى ظواهرهم، فمادام المسلم يؤدي شعائر الله فإنّ ما استخفى من شئون قلبه ليس لأحد أنْ ينقّب عنه، وقد عقد الإمام النووي في رياض

36- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، (28) باب: الدين يسر، (39) 23/1، وابن حبان في صحيحه، باب، البر والإحسان، ذكر الأمر بالغدو والرواح والدلجة في الطاعات عند المقاربة فيها، (351) 63/2.

37- متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، (11) باب: ما كان النبي ﷺ يَتَخَوَّلُهُمْ بِالْمَوْعِظَةِ وَالْعِلْمِ كيْ لَا يَنْفِرُوا (69) 38/1، وفي كتاب الأدب، (80) باب: قول النبي ﷺ: يسروا ولا تعسروا، (5773) 2269/5، ومسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، (3) بَاب في الأَمْرِ بِالتَّيْسِيرِ وَتَرْكِ التَّنْفِيرِ، (1732) 1358/3.

38- متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، (31) باب: أحب الدين إلى الله أدومه، (43)24/1، ومسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، (31) بَاب: أَمْرِ من نَعَسَ في صَلَاتِهِ أو اسْتَعْجَمَ عليه الْقُرْآنُ أو الذِّكْرُ بِأَنْ يَرْقُدَ أو يَقْعُدَ حتى يَذْهَبَ عنه ذلك، (785) 542/1.

39- ينظر الوسطية في القرآن الكريم لعلي الصلابي: 46، دار ابن الجوزي، القاهرة، ط: 2006.

40- متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، (73) باب: من أكفر أخاه بغير تأويل كما قال، (5752) 2263/5، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، (6) بَاب: بَيَانِ حَالِ إِيمَانِ من قال لِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ يا كَافِرُ، (60) 79/1.

الصالحين: بابًا بعنوان باب إجراء أحكام الناس على الظاهر، وسرائرهم إلى الله تعالى، وفيه ذكر قوله تعالى: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ ﴾ [التوبة: 5] وذكر عددًا من الأحاديث منها: عن ابن عمر –رضي الله عنهما– أنّ رسول الله ﷺ قال: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حتى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلا الله وَأَنَّ مُحَمَّدًا رسول اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فإذا فَعَلُوا ذلك، عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ، وَأَمْوَالَهُمْ، إلا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ على اللَّهِ»[41]، وعن المقداد بن عَمْرو الْكِنْدِيِّ، وكان حَلِيفًا لِبَنِي زُهْرَةَ، وكان مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا مع رسول اللَّهِ ﷺ قال: قلت لرسول الله ﷺ: «أَرَأَيْتَ إن لَقِيتُ رَجُلاً من الْكُفَّارِ؟ فَاقْتَتَلْنَا فَضَرَبَ إحْدَى يَدَيَّ بِالسَّيْفِ فَقَطَعَهَا ثُمَّ لاَذَ مِنِّي بِشَجَرَةٍ، فقال: أَسْلَمْتُ لِلَّهِ: أَقتله يا رَسُولَ اللَّهِ بَعْدَ أَنْ قَالَهَا؟ فقال رسول اللَّهِ ﷺ: لا تَقْتُلْهُ، فقال يا رَسُولَ اللَّهِ: إنّه قَطَعَ إحْدَى يَدَيَّ، ثُمَّ قال ذلك بَعْدَ ما قَطَعَهَا، فقال رسول اللَّهِ ﷺ: لا تَقْتُلْهُ، فَإِنْ قَتَلْتَهُ فإنه بِمَنْزِلَتِكَ قبل أَنْ تَقْتُلَهُ، وَإِنَّكَ بِمَنْزِلَتِهِ قبل أَنْ يَقُولَ كَلِمَتَهُ التي قال»[42]، ومعنى قوله: «فإنّه بمنزلتك» أي معصوم الدم محكوم بإسلامه، ومعنى: «وإنك بمنزلته» أي مباح الدم بالقصاص لورثته لا أنّه بمنزلته في الكفر والله أعلم[43].

وهناك بعض حوادث وقعت فعلاً وفق ما سأل عنه المقداد، وكان ردُّ رسول الله كما ردّ عليه، ومنها حديث أسامة الذي قال فيه الرسول ﷺ له: «أَفَلا شَقَقْتَ عن قَلْبِهِ حتى تَعْلَمَ أَقَالَهَا أَمْ لا؟ فما زَالَ يُكَرِّرُهَا عَلَيَّ حتى تَمَنَّيْتُ أَنِّي أَسْلَمْتُ يَوْمَئِذٍ»[44]، وحديث جندب بن عبد الله، وفيه أنّ أسامة بن زيد أرد قتل رجل كافر أثناء المعركة، وعندما رفع أسامة السيف ليقتله قال الرجل لا إله إلا الله فقتله، فجاء البشير إلى النّبي ﷺ،

41– متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، (15) باب: فإن تابوا وأقاموا الصلاة وأتوا الزكاة فخلوا سبيلهم، (25) 17/1، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان (8) بَاب: الْأَمْرِ بِقِتَالِ النَاس حتى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلا الله مُحَمَّدٌ رسول اللَّهِ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَيُؤْمِنُوا بِجَمِيعِ ما جاء بِهِ النبي ﷺ، (22) 53/1.

42– متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، (9) باب: شهود الملائكة بدرًا، (3794) 1474/4، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، (41) بَاب: تَحْرِيمِ قَتْلِ الْكَافِرِ بَعْدَ أَنْ قال لَا إِلَهَ إِلَا الله، (95) 95/1.

43– ينظر دليل الراغبين إلى رياض الصالحين، للإمام النووي190/1، 191.

44– أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، (41) بَاب: تَحْرِيمِ قَتْلِ الْكَافِرِ بَعْدَ أَنْ قال لَا إِلَهَ إِلَا الله، (96) 96/1، والجمع بين الصحيحين، المتفق عليه من مسند أبي زيد أسامة بن زيد، (2806) 342/3.

فقال النّبي ﷺ لأسامة: «فَكَيْفَ تَصْنَعُ بِلاَ إِلَهَ إلا الله إذا جَاءَتْ يوم الْقِيَامَةِ»(45).

لقد أكثرت من هذه النصوص لأُثبت في القلوب أنّ تكفير الناس ليس أمراً هيناً إنّه حكم بالإعدام، فكيف يحكم قاض بالإعدام على رجل دون تظاهر الأدلة على أنّه مستحق للإعدام فعلاً؟! إنّ هذا دليل على رغبة خبيثة في رمي النّاس بالكفر لأول بادرة، ولأقلّ هفوة، دون تفريق بين المتعمّد والغافل، أو العالم والجاهل، أو الذاكر و النّاسي، وشيوع الترامي بالكفر في المجتمع الإسلامي دليل على اعتلال بعض القلوب وقتام نظرتها إلى خلق الله.

ومن هنا فإنّ وظيفة الرّسل –صلوات الله وسلامه عليهم– ومن نهج على نهجهم أنْ يأخذوا بيد الشارد ليردوه إلى حظيرة الحقّ، وبيد الضّال إلى الهدى، وليست وظيفتهم إخراج النّاس من رضوان الله إلى سخطه، ونحن نشاهد ونسمع عن الكثير من شباب الجماعات الإسلامية يرمون رجالاً كباراً في مجال الدعوة بالكفر ويصفونهم بأوصاف لا تليق بهم، فالكفر عند هؤلاء أقرب من حبل الوريد، وقد فرقوا بهذا بين المرء وزوجه، والوالد وولده، والبنت وأبيها، وصموا أذانهم عن نصح النّاصحين، ومنهم من اغتال الغير، أو حرض الولد على عقوق أمه وأبيه، وأخذ أموالهما ولو بالقوة، والحجة أنّهما كافران.

وبهذا يتبيّن أنّ مسألة التّكفير تحتاج إلى قيود تحدّها، وتوضح ما يكفّر وما لا يكفّر، لا أنْ يُطلق الحبل على غاربه، فيغرق النّاس في تكفير بعضهم بعضًا، وهذا الأمر مُلقى على كاهل الدعاة والوعاظ ليبينوه للنّاس، وللشباب خاصة، حتى يعودوا إلى طريق الهدى، ويسلم المجتمع من الفتن ما ظهر منها وما بطن، والله يهدي إلى سبيل الرشاد.

الخاتمة

بعد أنْ عرفنا أسباب إخفاق بعض الدعاة في النّهوض بالخطاب الديني، وتبيّن أنّ بعضها علمي، وبعضها نفسي في طبع الداعية وتكوينه، وبعضها خارج عن ذات نفسه ولكنه يمكنه أنْ يتغلب عليه لو أحسن الثقة في الله، وأعطى وقتًا للقراءة والبحث والتجربة، وبعضها خُلُقي وهو مرض من أمراض القلب، وهذا يحتاج علاجه إلى بأس

45– أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، (41) باب: تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلاّ الله، (97) 97/1، ومسند البزار، (2612) 63/7.

وعزم وقوة وتجرد عن الذات، وأنْ ينصب الداعية نفسه حكمًا قاسيًا على نفسه؛ لأنّه من ورثة الأنبياء وشأنهم أنْ يكونوا صورة شامخة تجسّد الدعوة التي يتصدرون لها؛ لأنّهم قدوة لغيرهم، والناقص لا يصلح أنْ يكمل غيره ويصلحه، ورأيي لكي نتفادى هذا القصور ينبغي مراعاة الآتي:

1. اختيار العناصر الجيدة التي ستقوم بالدعوة بحيث تكون أجسامهم قوية سليمة من العلل التي من شأنها أنْ ينتج عنها الشعور بالنقص وبالتالي يؤدي إلى عوج في الطبع.
2. تعهد الدعاة بالرعاية العلمية والصحية والخلقية حتى يكونوا مؤهلين للدعوة والقيادة والإفتاء، وعدم فسح المجال أمام المنتحلين للدعوة المصابين بمرض الكبر والغرور حتى لا يندسوا بين صفوف الدعاة فيكونوا معول هدم وفساد من حيث لا ندري.
3. توفير الاحتياجات المادية؛ لأنّها وسيلة لتحصين الدعاة من الطمع، وحتى لا ينشأ لديهم إحساس بالضعة والمهانة، أو يكون عندهم شره إلى الدنيا ومتاعها الزائل.
4. إعمال دورات تثقيفية، يتم فيها تعليمهم السماحة ونقاء السريرة وحسن الخلق حتى يتحاشوا المشاحنة والتناوش فيما بينهم.
5. وضع نماذج من التاريخ البشري والإسلامي بالذات، وبيان ما تعرض له الدعاة من ظلم وتنكيل، وما تحملوه من أعباء من أجل القيام بالدعوة التي أنيطت بهم على مرّ العصور والأجيال البشرية حتى يكونوا لهم قدوة ودفعًا للقيام برسالتهم على الوجه المنشود.
6. توفير الاحتياجات المادية اللازمة للدعوة لكي نستطيع أنْ نخرج جيلاً من الدعاة قادراً على حمل الرسالة، والقيام بواجباتهم تجاه دينهم ووطنهم.

وقبل كلّ شيء ينبغي تحاشي كلّ ما أشرت إليه من أسباب الإخفاق والتّحلي بنقيضها، وهو عامل من عوامل النجاح وسببًا من أسباب النهوض بالخطاب الديني.

وما توفيقي إلاّ بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

أهم المصادر والمراجع

1. إحياء علوم الدين، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي، دار المعرفة، بيروت، ط: بلا.
2. أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، أبي الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقي، تحقيق: رشدي الصالح ملحس، الأندلس للنشر، بيروت ط: 1996م.
3. الإسلام على مفترق الطرق لمحمد أسد، دار العلم للملايين، ط: الثانية 1974م
4. البحر الزخار، لأبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، مؤسسة علوم القرآن، مكتبة العلوم والحكم، بيروت، والمدينة، ط: الأولى 1409 هـ.
5. الثقات، لمحمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، تحقيق: السيد شرف الدين أحمد دار الفكر، الطبعة: الأولى 1975م.
6. الجامع الصحيح المختصر، لمحمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ط: الثالثة، 1987م.
7. الجامع الصحيح سنن الترمذي، لمحمد بن عيسى الترمذي السلمي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: بلا.
8. الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، لمحمد بن فتوح الحميدي، تحقيق: علي حسين البواب دار ابن حزم، لبنان، ط: الثانية، 2002م.
9. حجة الله البالغة للإمام الدهلوي، دار التراث، القاهرة.
10. دليل الراغبين إلى رياض الصالحين، لإمام يحيي بن شرف الدين النووي، تأليف: فاروق حمادة، دار السلام، القاهرة، ط: الأولى 2007م.
11. سنن ابن ماجه، لمحمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، ط: بلا.
12. سنن أبي داود، لسليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، ط: بلا.
13. سنن الدارمي، لعبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، تحقيق: فواز أحمد زمرلي وخالد السبع العلمي دار الكتاب العربي، بيروت، ط: الأولى1407هـ.
14. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، لمحمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت ط: الثانية 1993م.
15. صحيح ابن خزيمة، لمحمد بن إسحاق بن خزيمة النيسابوري، تحقيق: محمد

مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت ط: 1970م.
16. صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: بلا.
17. القرآن الكريم بالرسم العثماني، برواية حفص عن عاصم، ط: الأولى، دار السلام، القاهرة.
18. قوارب النجاة في حياة الدعاة، لفتحي يكن، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى 2001م.
19. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، لعلاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي، تحقيق: محمود عمر الدمياطي دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى 1998م.
20. المتساقطون على طريق الدعوة، لفتحي يكن، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2001م.
21. مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، السنة الرابعة، العدد التاسع، ط: ديسمبر1987م، مجلة علمية محكمة تعنى بالبحوث والدراسات الإسلامية، تصدر عن جامعة الكويت كل أربعة أشهر، رئيس التحرير: أحمد حسن فرحات.
22. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تأليف: علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الريان للتراث ودار الكتاب العربي، القاهرة و بيروت، ط: 1407هـ
23. مسند أبي يعلى، لأحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي، تحقيق: حسين سليم دار المأمون للتراث ط: الأولى 1984م.
24. مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، مؤسسة قرطبة، مصر، ط: بلا.
25. المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: سعد بن ناصر بن عبد العزيز الشتري دار العاصمة، دار الغيث السعودية، الطبعة: الأولى 1419 هـ.
26. المعجم الكبير، لسليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي مكتبة الزهراء، الموصل، ط: الثانية 1983م.
27. هداية الراشدين للشيخ علي محفوظ، السعادة، القاهرة.
28. الوسطية في القرآن الكريم، لعلي الصلابي، دار ابن الجوزي، القاهرة، ط: 2007م.